

## فضل الأركيلة في السلم الأهلي

### حسان الزيت

تخيلوا لبنان واللبنانيين من دون أراكيل. هذه ليست دعوة بيئية وصحية. العباد بالله. فالدعوة إلى نزع الأراكيل دعوة إلى الحرب وإنهاض للفتنة. الدعوة التخيلية هي إلى تمرين تجريدي للنظر إلى «فوائد» الأركيلة ومنافعها على هذا الوطن. تخيل لبنان واللبنانيين بلا أراكيل دعوة إلى رؤية المخاطر المحدقة إذا خلا لبنان من الأراكيل. فالحرب لن تبدأ إذا ما نُزعت الأراكيل، لكن قرار نزعها، هو في حد ذاته، قرار حرب.

الأركيلة لم تعد جزءاً من عادات اللبنانيين فحسب، إنما باتت جزءاً من الشخصية الوطنية، بل هي أمر استراتيجي لحماية لبنان واستقراره. لا استعارة في هذا الكلام، وليس المقصود المقاومة وسلاحها ولا الجيش الوطني أو سوريا أو السعودية. صدقاً، لولا الأركيلة لا أعرف أين كان لبنان واللبنانيون.

الأركيلة، عنوان «التنبلة» كما هي في ثقافة بلادنا منذ السلطان العثماني عبد الحميد، موجودة في معظم البيوت والمقاهي والأزقة، وفي السيارات وعلى معظم الدراجات النارية. انتشرت بقدرة قادر وسحر ساحر وانشغلت في تصنيعها واكسسواراتها وفحمها مصانع الصين وتركيا ومعامل مصر وسوريا، وغابات إيران وماليزيا والإمارات والصومال... كلأها لتأمين طلبات السوق اللبنانية والحفاظ على أمجة اللبنانيين وراحتهم وإرضائهم. ومن المفيد هنا الإشارة إلى الفارق الكبير بين التدخل الدولي السياسي في الشؤون المحلية، الكبيرة والصغيرة، والتعاون الدولي إلى حد العطاء والكرم في مجال الأركيلة.

هذه الأركيلة، الكوكب الجميل ذو العناصر المتكاملة، الماء والهواء والتراب والنار، منقذ لبنان من الفتن والحروب. صحيح أنها ليست اختراعاً جديداً، وهي موجودة في العديد من المجتمعات المتعثمة، إلا أنها في لبنان ذات نكهة خاصة. بل نكهات خاصة. هي حيث تخرخر لها نكهة خاصة. والتعدد الثقافي في لبنان يغني لوحتها الفسيفسائية. كأن تكون في بعض المجتمعات اللبنانية تقليداً قديماً يعبر عن الرخاء والاستقرار المدني وتبسيط الحياة وتقديس عاداتها... الخ، وفي مجتمعات لبنانية أخرى هي تعبير عن الرغبة في الرخاء والاستقرار. وما بين هذا المفهوم ذي الدلالات والمعاني السوسيوولوجية والسيكولوجية والاستمولوجية، وذلك مروحة واسعة ومتنوعة من المفاهيم والمعاني والغير. فهي بالنسبة إلى البعض ملجأ وهروب وانسحاب من الواقع الضيق والقاسي والمتأرجح، وإلى البعض الآخر موعد ولقاء مع آخرين ومع مدينة هادئة وصاخبة وكوكب جميل وقيح، مضجر ومسل، عاقل ومجنون في آن واحد. فالأركيلة تجعل النظر إلى هذا، من خلف الدخان، أخف وطأة. الدخان يقيم فاصلاً كثيفاً وهشاً، طبيئاً وسريعاً، بين الإنسان والكوكب... لكأن الحياة لا تطاق وأمورها لا تُستوعب من دون هذه الساحرة ودخانها الذي يحجب ما يجري ويجعل النظر إليه متموجاً ومقبولاً.

أوروبياً، للكعبة فوائد الأركيلة عندنا، كما قال فيلسوف التنبلة وشاعرها إميل سيوران، الذي رأى أنه لولا الكعبة لكانت الثورات قامت؛ وأميركياً يؤدي التلفزيون ومعه الكعبة، هذا الدور. الحمد لله، بلداننا ومجتمعاتنا، التي تأخذ الأجل من تلك الأمم، لديها هذا كله. لكن الفضل الأول في إبعاد شبح الحرب والفتنة والثورات للأركيلة. أقول هذا ولو حُسب علي تعصباً. الأركيلة أولاً. فالتلفزيون الذي يجعل العالم غير واقعي وكاناته فوق العادي، لا يتوانى عن تأجيج المشاعر المذهبية إلى حد يبدو معه ضد استراتيجية الأركيلة واستقرار البلد. والكعبة جماً لا يتكلم كالحمار يُستغل ولا يُعترف بقيمته. الأركيلة هي الأساس، هي حامي البلد من الفتنة والحروب.

لا يمكن المؤركلين نفي أن في عالم الأركيلة طبقات. ليس في «البنية التحتية» والمواد التي تُستعمل وحسب، بل أيضاً في البنية الفوقية والثقافية للأركيلة ومجتمعاتها. هناك مؤركلون يمارسونها كطقس خاص وهادئ، حتى لو كان ذلك في أماكن عامة كالقهى. وهناك من حملها كسلاح إلى الشارع والزاروب ومداخل الأبنية. هؤلاء رغم أنهم يبدون، في ظاهر الأمور، خطرين وشعبيين، فإن الأركيلة، إذا ما فكرنا عميقاً في باطن المسألة، تكبهم و«تفش خلقهم» وتقلص احتمالات اندفاعهم إلى العنف، حتى لو كانوا مؤكّنين كمجموعات أحياء تنتمي إلى مجموعات أكبر ومذاهب وزعماء. فالأركيلة، في هذه الحالة، رغم كونها جامعاً للشلل وتوافق مزاج الميليشيات، فإنها لا تناسب حياة القتال، وبالتالي احتمالات عدم حماسة المؤركلين للحروب لا بأس بها، لكن هذا يحتاج إلى جهد ثقافي وتربوي يجعل المؤركل لا يتخلى على أركيلته وعاداتها معها. وأنا أستغرب إهمال الدولة والمجتمع المدني لهذه المهمة المهمة، في ترسيخ السلم الأهلي والاستقرار وابتعاد المواطنين عن العنف والحروب وتدمير ما ليس لديهم وما ليس لهم: البلد.

## بلال الحسن\*

# علامات الطريق، ف

يروي الكاتب تاريخ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وأثر العوامل العربية في تأسيسها، التي جعلتها، برأيه، جزءاً من النظام الرسمي العربي. ويعود إلى بدايات فكرة الحوار مع الإسرائيليين الواردة في برنامج النقاط العشر سنة 1974، التي تطورت لاحقاً إلى التفاوض معهم في سنة 1993. ويعتقد الكاتب أن المفاوضات التي بدأت، عملياً، في سنة 1993، ومنحت المنظمة صفة الاعتدال السياسي في الأوساط الدولية لم تثمر، ولم تؤد إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة هي الغاية الأبرز للمنظمة منذ 1974 فصاعداً

نشأت منظمة التحرير الفلسطينية كجزء من النظام العربي. وكانت نشأتها الأولى بقرار من القمة العربية، في أجواء الاستعداد العربي لمواجهة المشروع الإسرائيلي بتحويل مياه نهر الأردن، ومن خلال مشروع عربي مضاد لخطة تحويل الروافد. وأعلنت المنظمة في ميثاق نشأتها (الميثاق القومي الفلسطيني) سنة 1964، أن هدفها تحرير فلسطين التي احتلتها الحركة الصهيونية سنة 1948. وحين وقعت حرب حزيران (يونيو) 1967، مُني العرب فيها بهزيمة قاسية، واحتلت إسرائيل كامل الأرض الفلسطينية (الضفة الغربية وغزة)، كذاك احتلت أراض عربية (سنياء والجولان). ونشأ بذلك وضع جديد كلياً، كان عنوانه الأساسي إعادة بناء الجيوش العربية، والاستعداد عربياً لتحرير الأراضي التي احتلت في 1967، وقد حمل التعبير عنه شعار «إزالة آثار العدوان»، وكان أن برزت في سياق ذلك، بين إنشاء المنظمة وهزيمة حزيران (يونيو)، حركة العمل الفدائي الفلسطينية في 1965، من خلال الحركة التي حملت اسم «حركة فتح»، التي أعلنت أيضاً أن هدفها هو تحرير فلسطين، لكن من خلال استراتيجية الكفاح الشعبي المسلح.

نشأت منظمة التحرير الفلسطينية كجزء من النظام العربي. وكانت نشأتها الأولى بقرار من القمة العربية، في أجواء الاستعداد العربي لمواجهة المشروع الإسرائيلي بتحويل مياه نهر الأردن، ومن خلال مشروع عربي مضاد لخطة تحويل الروافد. وأعلنت المنظمة في ميثاق نشأتها (الميثاق القومي الفلسطيني) سنة 1964، أن هدفها تحرير فلسطين التي احتلتها الحركة الصهيونية سنة 1948. وحين وقعت حرب حزيران (يونيو) 1967، مُني العرب فيها بهزيمة قاسية، واحتلت إسرائيل كامل الأرض الفلسطينية (الضفة الغربية وغزة)، كذاك احتلت أراض عربية (سنياء والجولان). ونشأ بذلك وضع جديد كلياً، كان عنوانه الأساسي إعادة بناء الجيوش العربية، والاستعداد عربياً لتحرير الأراضي التي احتلت في 1967، وقد حمل التعبير عنه شعار «إزالة آثار العدوان»، وكان أن برزت في سياق ذلك، بين إنشاء المنظمة وهزيمة حزيران (يونيو)، حركة العمل الفدائي الفلسطينية في 1965، من خلال الحركة التي حملت اسم «حركة فتح»، التي أعلنت أيضاً أن هدفها هو تحرير فلسطين، لكن من خلال استراتيجية الكفاح الشعبي المسلح. كانت نشأة العمل الفدائي الفلسطيني متواضعة عسكرياً وشعبياً، لكن أجواء الهزيمة أوجدت مناخاً شعبياً فلسطينياً وعربياً شديد التحدي والحيوية، توجه نحو فكرة العمل الفدائي وتبناها. وكان أن أُتيح لحركة «فتح» أن تتسع شعبياً، وكذلك لتنظيمات فدائية أخرى أن توجد وأن تتسع. وهكذا وُجدت الجبهة

منذ وقت مبكر جرت اتصالات بين فصائل فدائية وجهات إسرائيلية، بادرت إليها حركة «فتح»، ثم الجبهة الديمقراطية (نايف حواتمة). وكانت تلك الاتصالات تقوم على قاعدة الاتصال بالقوى الإسرائيلية الراضة للصهيونية. لذا، كان الاتصال بأشخاص من منظمة متسبين الإسرائيلية ذات التوجه التروتسكي.

### نشوء فكريّ الكيان والحوار

وطرحت منذ وقت مبكر فكرة إنشاء كيان فلسطيني، لكن من طريق تحرير فلسطين. واتخذ هذا الطرح صيغة «إنشاء كيان فلسطيني فوق كل أرض تحرّر»، وكان يبتعد بذلك عن فكرة الحوار مع المحتل الإسرائيلي...

وحين وقعت حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973، بادرت حركة «فتح» ومعها الجبهة الديمقراطية، إلى طرح برنامج النقاط العشر على المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر الذي عقد في القاهرة بين 1 و6 حزيران (يونيو) 1974. وقد تعرّض المشروع لنقد واسع داخل المجلس، لكنه أقر. كان البرنامج يدعو إلى «إقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي تحرّر».

لكنه كان يفسح في المجال أيضاً لإجراء القيادة الفلسطينية الاتصالات اللازمة لتحقيق هذا الهدف، وهو ما عبّر عنه البند العاشر. فورد فيه: «تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم ويمكن من تحقيق هذه الأهداف». وكان هذا البند الذي يسمح بـ«التكتيك»، أي بالاتصالات والإجراءات اللازمة، هو جوهر الموضوع الذي تريده القيادة الفلسطينية. وكانت تلك أول إشارة رسمية تصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية، في اتجاه اتباع «تكتيك» مع قوى وشخصيات لا بد من أن يكون بينها بالضرورة شخصيات إسرائيلية.

نشأ في مواجهة هذا البرنامج تياران فلسطينيان، داخل الإطار الشعبي، وداخل إطار منظمة التحرير: تيار يؤيد هذا النهج مرحلي، والثاني يرفضه ويصر على هدف التحرير الشامل. وعبر هذا التيار عن نفسه بنشوء «جبهة الرفض»، وكان هذا أول انقسام يتخذ صفة الفعل...

### الممثل الشرعي الوحيد

في سنة 1974، على أثر مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، عُدت منظمة التحرير الفلسطينية «الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني». ثم توافق العرب، مستندين إلى نتائج حرب 1973 وتأثيراتها في الساحة الدولية، على العمل كي يدعى ياسر عرفات إلى إلقاء كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكان لهم ما أرادوا. وألقى عرفات كلمته الشهيرة أمام الجمعية العامة، متحدثاً لأول مرة باسم شعب فلسطين. ثم ختم كلمته بشعار ذي دلالة سياسية في اتجاه احتمال التفاوض، حين قال: «لقد جئتم، يا سيادة الرئيس، بغصن الزيتون مع بندقية

## هذ وقت مبكر جرت اتصالات بين فصائل فدائية وجهات إسرائيلية بادرت إليها حركة «فتح»

الشعبية - القيادة العامة بقيادة أحمد جبريل (قبل سنة 1967)، والجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، ومنظمة الصاعقة التي انبثقت من الفرع الفلسطيني لحزب البعث الحاكم في سوريا.

كان المناخ السياسي المسيطر آنذاك ينطلق من شعار التحرير فلسطينياً، ومن شعار إزالة آثار العدوان عربياً، ومن قرار مجلس الأمن 242 الذي يدعو العرب والإسرائيليين إلى التفاوض. وهو القرار الذي اعترفت به الدول العربية المعنية (مصر والأردن ثم سوريا)، بينما رفضت الحركة الفدائية الفلسطينية الاعتراف به...

في ضوء هذا الواقع، بدأ العمل لإعادة بناء الجيش في كل من مصر وسورية والأردن، والاستعداد لمعركة «إزالة آثار العدوان». وبدأ العمل دولياً لرعاية تفاوض إسرائيلي - عربي بحسب منطق القرار 242، وعبر ما اشتهر آنذاك باسم «مؤتمر جنيف»...

في هذا الوقت، طرأ تغير على الموقف المصري بشأن الوضع الفلسطيني. ارتأت مصر أن بقاء منظمة التحرير بقيادة أحمد الشقيري لا يلائم توجهاتها، وأنها (مصر) تحتاج إلى قوة مقاتلة فلسطينية، ذات صفة شرعية، تسهم في مشاغلة القوة العسكرية الإسرائيلية، لإيجاد مناخ يساعد في عملية إعادة بناء الجيش المصري. فكان أن عملت على استقالة الشقيري، واقتрحت على «فتح» أن تتولى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية (ذات الصفة الشرعية). وهذا ما حدث أواخر عام 1968 الذي شهد تعديل الميثاق الذي أصبح «الميثاق الوطني

مدير التحرير خالد صافية ■ سكرتير التحرير حسان الزيت ■ مجلس التحرير  
عربيات دوليات إيلي شلهوب، ثقافة ييار ابي صعب، مجتمع ضحك شمس،  
رياضة علي صفا، عهد عمر نشابة، اقتصاد محمد زبيب

المدير الفني اميل منعم

رئيس مجلس الإدارة والمدير المسؤول إبراهيم المين  
المكاتب بيروت - فزاد - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق  
السادس ■ تلافكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب. 5963/113  
www.al-akhbar.com

الاعلانات Tree Ad 01/61115 03/252224  
التوزيع شركة اللوانك 15-01/666314 03/828381

## الزخار

تأسست عام 1953  
تصدر مع شركة «أخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس  
جوزف سلحة  
(2006-2007)

مستشار مجلس التحرير  
انسب الحاج